

جهد النفس

ألقى بنادى الانصار با لمد ينة المنورة

محاضرة

الثلاء ١٢ من شوال سنة ١٣٩١ هجرية ، الموافق ٢٢ من شهر نوفمبر سنة ١٩٧١
ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم
صورة الدعوة التي وجهها نادى الأنصار بالمدينة المنورة
للسادة المستمعين الكرام

يسرنا دعوة سيادتكم وجميع الأخوان للأستماع للمحاضرة القيمة التي سيتفضل بإلقائها سيادة العالم الأديب الباحث والمؤلف الإسلامى الأستاذ حسن كامل الملطوى وكيل وزارة الخزانة المصرية السابق ، على صالة المدرسة الثانوية بباب العنبرية ، وذلك بعد صلاة العشاء من يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ١٢ و ١٣ / ١٠ / ١٣٩١ هـ ، وموضوعها " جهاد النفس " آملين الحرص على الحضور ودعوة جميع الأخوان ، ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح . وستقف أوتوبيسات الجامعة الإسلامية بجوار عمارة الغسال لنقل الراغبين ، ثم العودة بهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

عبد العزيز الربيع
رئيس نادى الأنصار بالمدينة المنورة ١٠ شوال ١٣٩١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد افتتح الاجتماع بتلاوة بعض آى القرآن الكريم ثم قدم الأستاذ محمد حميدة الموجه التربوى بوزارة التربية السعودية الأستاذ حسن المطاوى فقال أنه خريج كلية التجارة بجامعة القاهرة ، وقد تدرج فى مناصب وزارة الخزانة المصرية إلى أن بلغ أعلاها فصار وكيلا للوزارة ثم عين بمرتب نائب وزير عضوا متفرغا لهيئة المواصلات السلوكية بالقاهرة وهو الآن بالمعاش وأضاف قائلا :

ومع أن الأستاذ حسن المطاوى خريج كلية التجارة وهى ذات دراسة مدنية إلا أنه عنى عقب تخرجه بتحصيل العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث حتى برع فى تلك العلوم وحاضر فيها بالأزهر الشريف والأندية والجمعيات الثقافية فكان نموذجا يحتذى به من شاء من المثقفين المدنيين . ولم يقف نشاطه عند إلقاء المحاضرات التى أمر فيها بالمعروف ونهى عن المنكر بل صار مؤلفا لعدة كتب قيمة نافعة مثل كتاب فقه العبادات على مذهب الإمام مالك وفقه المعاملات على مذهب الإمام مالك ، وألف فى التاريخ الإسلامى كتابا عن خامس الخلفاء الراشدين الإمام الحسن بن على وآخر عن الإمام الحسين بن على وثالث عن السيدة خديجة أم المؤمنين فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا كثيرا ، وله تحت الطبع كتاب كبير عن : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القرآن الكريم . كما أنه راوية من رواة الشعر القديم والحديث ، وهو يبهر المستمعين إليه فى هذا المجال .

وقد انتهاز نادى الأنصار فرصة وجود سيادته بالمدينة المنورة فدعاه لأن

يحاضرکم فی " جهاد النفس " فاستمعوا إليه لتنتفعوا بعلمه كما انتفع غيركم وفقنا الله وإياكم
كما يحب ويرضى .

وقد بدأ الأستاذ حسن المطاوى يحاضر المستمعين ارتجالاً فقال :
أيها السادة الأفاضل :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد الذى جاءنا
بالحدى ودين الحق ، فكان أعظم الرسل شأنًا ، وأكثرهم تابعًا ، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وأزواجه وذريته ومن والاهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم أشكر نادى الأنصار الموقر على حسن ظنه ودعوتى لهذه المحاضرة ، وإنى أعتز بتلك
الدعوة الكريمة التى شرفنى بها النادى الذى انتسب لسادتنا الأنصار عليهم وعلى ساداتنا
المهاجرين رضوان الله ، فأتاح لى بها التحدث إليكم فى ربوع المدينة المنورة وهى الأرض التى
تبوأها وجاهد فيها السادة الأنصار وخلصهم الله فى كتابه الكريم فسمها " أرض الله " فى قوله
تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)^١ حين كانت الهجرة من مكة إلى المدينة
فرضا مفروضاً فى سبيل الله .

وما أنأكم يا أهل الحرمين بمكة والمدينة فهما مهبط الوحي ، ومراح البراق ، ومشرق النور ،
ومنشأ الرسالة المحمدية التى عمت بأنوارها الخافقين ، وكفلت للمؤمنين سعادة الدارين .

^١ - النساء : الآية ٣٧ .

وما أشرفكم ملكا وحكومة وشعبا بأن تكونوا خدام الحرمين وضيوف الله الوافدين إليهما من كل فج عميق ، وهم يباهون كل أقطار الأرض بالأمن الذى ينعمون به ، ذلك الأمن الذى عم المملكة العربية السعودية وكان ثمرة طيبة من ثمرات تطبيق أحكام الشرع الشريف التى حرصت حكومتكم الرشيدة على العمل بها وهذا من فضل الله علينا وعليكم . وإن شاء الله تعالى نرى قريبا الأحكام الشرعية مطبقة فى جميع البلاد الإسلامية فقد نص دستور جمهورية مصر العربية الأخير على أن تكون الشريعة الإسلامية مصدرا للقوانين وكذلك بدأت الجمهورية العربية الليبية فى سن الأحكام الشرعية ، وقد كان العمل بالقوانين الوضعية نتيجة للاستعمار الذى منيت به البلاد الإسلامية من قبل ثم رفضت عاره عنها فى السنين الأخيرة بعون الله وقوته . . . وبعد . . .

فإنى أبدأ باسم الله محاضرتى عن " جهاد النفس " فأقول وبالله التوفيق .

خلقة الإنسان :

خلق الله سبحانه بقدرته الإنسان فى أحسن تقويم ، وركبه من ملك وملكوت ، فجسمه حيوانى من عالم الملك ، وروحه نورانية من عالم الملكوت ، وجعل جل شأنه بين الجسد والروح رابطة قوية كرابطة العود الأخضر بالخضرة التى تلازمه مادام رطبا .

أحكام الشرع الشريف :

وشاء الله جل وعلا أن تنتفع الجوارح الحيوانية من أعمال الروح

النورانية وأن تنتفع الروح من أعمال الجوارح ، ويكون ذلك الانتفاع عن طريق طاعة الله تعالى فى العبادات والمعاملات التى شرعها الله فى دين الإسلام لتؤتى ثمرتها فى جنب الله تعالى . وطاعته سبحانه وتعالى تكون بكف النفس عن هواها الذى يجر الإنسان إلى شهوته الجسدية الحيوانية ، وهى شهوات غريزية نهاه شرع الله عن كسر حدود الله فيها ، وبين له عواقبها الضارة بصاحبها فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو ابتلاء المؤمن ، فهو بين نفس بشرية أمارة بالسوء ، وبين أوامر شرعية ربانية تنهاه عن مجارة هواها واتباع صراط الله المستقيم . ويقول تعالى منبها لنا (فإذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما سعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى)^٢ ويا بعد ما بين النهائيتين ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

ولا يكون اتباع الصراط المستقيم إلا على أساس الشهادتين بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومعنى الألوهية السيادة المطلقة وهى ليست إلا لله وحده لا يشاركه فيها أحد ، فكل مخلوق مهما علا قدره وعظم فضله خضع لسيادة الله وقدره ، وما شاء الله فى شأنه كان وما لم يشأ لم يكن ، لا إله إلا هو الكبير المتعال ، فالأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون والملائكة المقربون كلهم عبيد لله تعالى ، وما بهم من نعمة فمن الله تعالى .

^٢ - النازعات : الآيات من ٣٦ إلى ٤١ .

الإسلام دين الفطرة :

والرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات السماوية التي شاء الله تعالى أن تقوم بين الناس في الأرض لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل .

والإيمان بالله تعالى فطرى فى النفس البشرية ، فكل نفس مفطورة على الإيمان بالله سبحانه ، فقد جمع الله الأرواح البشرية فى عالم الذر قبل أن يخلق الأجسام ، وخاطب الأرواح فقال جل وعلا (أأست بربكم قالوا بلى)^٣ أى أقرار أنك أنت ربنا وليس غيرك وذلك ما تحكيه الآية الكريمة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقول إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)^٤ وحين ظهرت الرسالات بين الناس كان ظهورها لتذكير الناس بذلك الإقرار لئلا يضلهم الشيطان ضلالا بعيدا فينسيهم فطرة الله التي فطر الناس عليها . وجاء كل رسول يؤيد دعوة من سبقوه من السادة المرسلين حتى كانت الرسالة المحمدية مسك الختام . ومن ذلك نفهم جليا ما جاء فى الحديث الشريف " كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " وعلى الفطرة هى المشار إليها فى الآية الكريمة " فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "^٥

^٣ - الأعراف ١٧٢ .

^٤ - الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

^٥ - سورة الروم .

حكمة الخلق :

وقد بين الله حكمة الخلق فقال تعالى (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)^٦ وقد فسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى إلا ليعبدون بمعنى إلا ليعرفون .

فمعرفة الله بالتوحيد هي أول فرض فرضه الله على عباده . وكل عبادة لا تستند إلى توحيد الله تعالى إنما هي عبادة باطلة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى مخاطبا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين " ^٧ .

ويكون توحيد الله إقرار باللسان وبقينا بالقلب ، فإن أقر الإنسان بالتوحيد مطقا ولم يوقن بقلبه كان منافقا عند الله فى دعواه ، فإن خدع الناس لا يستطيع أن يخدع الله الذى يعلم السر وأخفى ، وقد أفتح الله تعالى سورة البقرة بقوله الكريم " الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *^٨ للذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون " ^٨ .

^٦ - سورة الروم .

^٧ - الزمر ٦٥ و ٦٦ .

^٨ - البقرة الآيات من ١ إلى ٥ .

التكاليف الشرعية :

ونحن نحمد الله تعالى إذ من علينا بالإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ونسأله تعالى أن يحفظ علينا نعمة الإيمان حتى نلقاه يوم يقوم الناس لرب العالمين . وقد تعبدنا الله بعد الإيمان بعبادات شتى تقتضى منا أن نجاهد أنفسنا فيها . وتكليفنا بتلك العبادات فيه تشريف لنا ورفع لأقدارنا وكرامتنا ، لأننا لو لم تكلف لنا كالجملات المهمة أو كالحيوان الأعجم الذى لا يرقى إلى شرف التكليف ، وكما أن التكليف شرف ، فهو مظهر من مظاهر العدالة الربانية ، لأن التكاليف كذلك ميزان يتميز به المحسن من المسئى وليس من العدالة فى شئ أن يكونا عند الله بمنزلة سواء ، وقد قال تعالى بحق " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستتون " ^٩ كما قال سبحانه " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " ^{١٠} وقال كذلك " أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون " ^{١١} كما يقول سبحانه " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين " ^{١٢} .

وقد كلفنا سبحانه وتعالى بالصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج .
والصلاة عبادة بدنية فيها شرف تكبيره ومناجاته سبحانه والركوع والسجود

^٩ - السجدة ١٨ .
^{١٠} - الجاثية ٢١ .
^{١١} - القلم ٣٥ و ٣٦ .
^{١٢} - الأنبياء ٤٧ .

بين يديه ، وفى ذلك تثبيت وربط على عقيدة التوحيد ، ويستوى فى تأدية الصلوات الغنى والفقير ، والحاكم والمحكوم ، والتابع والمتبوع ، فهى عبادة الأخاء والمساواة الحقّة ، وهى لا تسقط عن المتكلف ما دام عقله فيه .

وفى الصلاة جهاد النفس ونقلها من الغفلة إلى تسبيحه سبحانه ، وذكره فى أوقاتها المتفاوتة بالنهار والليل .

أما الصيام فعبادة لا حركة فيها ، ولكنها جهاد ونية ، وفيه كبح شهوات البطن والفرج من الفجر إلى الغروب ، فيملك المؤمن زمام نفسه فيخضعها لربه ، ولا يخضع لهواها إن أرادت طعاما أو شرابا أو شهوة ، وإذا استطاع أن يحكمها فى حلالها نصف الوقت ، فأولى به أن يحكمها فى حرامه سائر الوقت . ومن أقوال بعض الحكماء : " نفسك كالدابة ، إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك " .

والزكاة عبادة مالية واجبة على أصحاب المال الذين يملكون النصاب وهى تعالج شح النفس بالمال ، لأن النفس بطبعها تحب المال حبا جما ، وتشح به ، وتميل إلى إكتنازه والتباهى به بين الناس ، وقد ابتلى الله الأغنياء بالفقراء ، وأبتلى الفقراء بالأغنياء ، فيا سعادة من جاهد نفسه وعطف على البائس الفقير ووضع نصب عينيه على الدوام (ما عندكم ينفد وما عند

الله باق) ١٣ .

١٣ - الآية ٩٦ من سورة النمل .

والحج فريضة على المستطيعين ، يجاهدون أنفسهم فيها بأجسامهم وبأموالهم ، فهي عبادة
بدنية مالية ، وهم يخالفون فيها مألوفاتهم فيهجرون أوطانهم وأهليهم وينفقون أموالهم فى
سبيل الله ، وقد قال تعالى : (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ
لهم الخيرات وأولئكَ هم المفلحون)^{١٤} .

وقد أكمل الله تعالى فرائض الإسلام بالحج ومنّ علينا به فى قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً)^{١٥} . فقد نزلت الآية الشريفة فى يوم
عرفة ، وكان يوم جمعة فى حجة الوداع التى حجها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب التوبة :

وعلى الرغم من تأدية المؤمن لهذه العبادات ، فإنه عرضة لاقتراف السيئات بحكم بشريته حين
تغلبه نفسه ولا يستطيع رد جماحها ، فماذا يصنع إذا أساء ؟ إن الله تعالى فتح للمسىء بابا
واسعا من أبواب رحمته العلية ، وهو باب التوبة ، وقد جاء فى الحديث الشريف : " إن الله
يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع
الشمس من مغربها " .

^{١٤} - الآية ٨ من سورة التوبة .
^{١٥} - الآية ٣ من سورة المائدة .

ويقول تعالى : (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)^{١٦} كما يقول سبحانه : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا)^{١٧} .
وفى التوبة والاستغفار جهاد للنفس ، لأن المؤمن لا يتجه للتوبة إلا إن كانت نفسه لوامة تستجيب زلتها وتتطلع إلى طاعة ربها ، والنفس اللوامة نفس كريمة طيبة ، وقد أقسم الله بها فى كتابه الكريم ، فشرفها بذلك القسم العظيم ، فقال تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة)^{١٨} .
وقد لا يقف لومها عند الزلات ، بل يتعدى اللوم إلى التقصير فى الطاعات المستطاعة ، فيرى المؤمن أنه لم يبلغ الاستطاعة التى يسر الله أسبابها ، وأمر المؤمنين بها فى قوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم)^{١٩} .
ولوم النفس جهاد عظيم لأنه ندم ، والندم توبة ، والتوبة سعى لتصحيح السلوك ، وحرص على إتباع الدين الذى شرعه الله ووصى به المؤمنين .

^{١٦} - آية ١٢ من سورة طه .

^{١٧} - آية ١١٠ من سورة النساء .

^{١٨} - آيتان ١ و ٢ من سورة القيامة .

^{١٩} - آية ١٦ من سورة التغابن .

وقد كان لأسلافنا الصالحين زلات ولكنهم صدقوا الله في توبتهم منها ، وأحب الله منهم صدقهم هذا ، ووصفه لنا في كتابه الكريم في مثل قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)^{٢٠} ، وهؤلاء الثلاثة كانوا تخلفوا بلا عذر عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك . فانظر كيف لاموا أنفسهم حتى ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ، وذلك شأن المؤمن الحر الزكى الذى يرجو رحمة الله تعالى ويخاف عذابه .

هذا وإذا عظمت الخطيئة فى نفس المؤمن صغرت عند الله فكفرها الله عن التائب ، أما إذا استهان المؤمن بخطاياها واستصغرها فى نفسه فإنها تكبر عند الله ويؤاخذها بها ، وينصحن الحكماء فيقولون : لا تنظر إلى صغر الخطيئة التى ارتكبتها ، ولكن انظر إلى عظمة ربك الذى خالفته فيها .

وقد حضنا سبحانه وتعالى على الصدق فى التوبة بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم

^{٢٠} - آية ١١٨ من سورة التوبة .

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير (٢١) .

محاسبة النفس :

ومحاسبة النفس هي سبيل الإصلاح والصلاح ، وقد حرص سادتنا الصحابة رضی الله عنهم على محاسبة نفوسهم ، فكانوا هم السابقين بالخيرات بإذن الله . وقد كان أمير المؤمنين عمر رضی الله عنه يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزن عليكم . وكان رضی الله عنه شديد المحاسبة لنفسه ، ومما أثر عنه قوله : لو أن جملا هلك ضياعا على شاطئ الفرات لحاسب الله عليه آل الخطاب .

ومن طريف ما قرأته أنه أثناء خلافته عين إماما على جماعة ، فشكا له بعض الناس أن ذلك الإمام يصلى بهم ثم يغنى ، فسأل أمير المؤمنين الإمام في حضرة الشاكين : أحقا أنك تصلى ثم تغنى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال أمير المؤمنين : ماذا تغنى ؟ فقال يا أمير المؤمنين أغنى وأقول :

وفؤادى كلما عاتبته عاد للذات يبغى تعبى

٢١ - الآية ٨ من سورة التحريم .

لأراه الدهر إلا لاهيا فى تماديه فقد برح بى
يا قرين السوء ما هذا الصبا فنى العمر كذا فى اللعب
وشباب بان منى فمضى قبل أن أفضى منه أربى
نفسى لا كنت ولا كان الهوى

اتقى المولى وخافى وارهبى

فما كان من أمير المؤمنين بعد أن سمع ذلك إلا أنه نظر للشاكين وقال لهم ناصحا : من كان منكم مغنيا فليغن هكذا . . . فقد أعجب أمير المؤمنين بأن ذلك الإمام يلوم نفسه على تقصيرها ويصدها عن هواها ابتغاء تقوى الله ومرضاته وإتقاء غضبه وعقابه .

وقد كان أمير المؤمنين عمر مثالا رائعا فى جهاد نفسه وصددها عن هواها ، فقد رآه عروة بن الزبير صبيحة اختياريه خليفة للمسلمين يحمل قرية ماء على ظهره ، فقال له : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال لعروة : أعجبتنى نفسى حين جائتني الوفود سامعين مطيعين ، فدخلت فى نفسى نخوة ، فأحببت أن أكسرها . . . أى بالتواضع فى الله تعالى .

وكان رضى الله عنه يتمثل كثيرا بشعر ورقة بن نوفل الذى يقول فيه :

لا شئ مما يرى تبقى بشاشته

يفنى الرجال ويودى الأهل والولد

لم تغن عن هرمز يوما ودائعه

والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

أين الملوك التي كانت مسلطنة

من كل أوب إليها وافد يرد

حوض هنالك مورود بلا كذب

لا بد من ورده يوما كما وردوا

كم كان نقش خاتمه الذى يلبسه " كفى بالموت واعظا يا عمر " .

أما الإمام على كرم الله وجهه فقد كان يقول فى محاسبة نفسه : ما أنا ونفسى إلا كراعى غنم مع غنمه ، إن ضمها من ناحية شردت من ناحية .

وقصته كرم الله وجهه وهو خليفة مع أخيه عقيل معروفة ، فقد سأله عقيل زيادة النفقة ، فأمره أن يأتى له بجزمة حطب ، فجاءه بها فأضرم النار فيها أمير المؤمنين على ، وأمسك بيد أخيه وقدمها إلى النار ، فأبعد عقيل يده عن النار ، فقال له أمير المؤمنين : أتخاف نارا ألهبها اليوم ولا أخاف نارا سعتها مسعها لغضبه .

الجهاد فى سبيل الله :

هذا ولا يقف جهاد النفس عند الاستغفار من الزلات أو الجد فى العبادات بل يتعدى ذلك إلى احتمال الأذى فى سبيل الله وإلى جهاد

أعداء الدين بالنفس والمال دفاعا عن الإسلام وأوطان المسلمين ،
وقد ضرب سادتنا الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - أروع الأمثال فى هذا الشأن كما يشهد
لهم كتاب الله الكريم . أما عن احتمال الأذى فى سبيل الله تعالى فإنهم كما تعلمون صبروا
على أذى كفار مكة صبرا جميلا ثم اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة
المنورة ، فهان عليهم أن يهاجروا وطنهم وأهليهم وأموالهم وأسباب معاشهم حفاظا على
دينهم واستمساكا به ورضوا بشظف العيش فى ديار الغربة وتلك التضحيات الكبرى تذكر لهم
ولا تنكر عليهم .

وحين دعوا إلى القتال فى سبيل الله رخصت عليهم أرواحهم وهى أعلى من الأموال ، وخاضوا
المعركة تلو المعركة مستبسلين واستشهد منهم كثيرون ، وقد ظنهم الناس أمواتا وهم أحياء
عند ربهم يرزقون ويقول تعالى فيهم (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء
عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من
خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع
أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم
واتقوا أجر عظيم)^{٢٢}

^{٢٢} - آية ١٦٩ إلى ١٧٢ من سورة آل عمران .

وإنك لتعجب من عظم كرمهم فى بذل الأموال واسترخاصها فى سبيل الله تعالى على الرغم من
ضن النفوس البشرية بها ، فقد قدم سيدنا أبو بكر الصديق كل ما ملكت يده لمولانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله هذا كل مالى أقدمه لله ، فقال له مولانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى أبقيت لعيالك ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله ، ألا رضى الله
عك أيها الصديق الأعظم والعلم الأشهر .

ويحكى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول : ذهبت بنصف مالى إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقلت : اليوم أسبق أبا بكر ، وقدمت نصف مالى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقلت يا رسول الله هذا نصف مالى وأبقيت النصف لعيالى ، فإذا بأبى بكر قد
سبقنى وقدم كل ماله ، فقلت له : لا أسبقك فى شئ بعدها أبدا . كما يشيد سيدنا عمر
بمواقف الصديق رضى الله عنه ويقول : كنت أحب أن يكون لى يومان من أيام أبى بكر
بحياتى كلها ، يوم أن صحب رسول الله فى الغار ، ويوم أن خالفنا فى حرب أهل الردة .
وتعلمون أن سيدنا عثمان بن عفان بذل طائل الأموال فى سبيل الله ، فمثلا مول جيش العسرة
فى تبوك بسبعمائة بعير هى وما حملت من الزاد ، وأعطى كل مقاتل دينارا من ذهب ، ولم
يكفه هذا مع عظمه بل جاء بألف دينار أخرى وصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ،
فأخذ صلوات الله

وسلامه عليه يقلبها بين يديه ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعدها ، اللهم اغفر لعثمان .
وقد كان لإمامنا على كرم الله وجهه أرض يملكها فى ينبع فأوقفها كلها فى سبيل الله عز وجل
وعاش عيشة الكفاف مؤثرا مرضاة ربه على هوى نفسه .

أما فقراء الصحابة الكرام فقد سجل لهم صدق طويتهم وحسن نيتهم فى قوله الكريم (ليس
على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)^{٢٣} .

وفى حين كان السادة الصحابة أشداء فى حروبهم على الكفار ، كانوا رحماء بينهم يرحم
قويهم ضعيفهم ، ويعين غنيهم فقيرهم ، ويعلم عالمهم جاهلهم ، ويدعوا صالحهم لطالحهم ،
وفى حين كانوا أسودا فى الحروب كانوا عابدا فى جنح الليل يتهددون أقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم وتظهر لكم تلك الصورة واضحة بينة فى قوله تعالى (محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله

^{٢٣} - الآيات ٩١ و ٩٢ من سورة التوبة .

ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) ^{٢٤}

وكذلك فى قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ^{٢٥} وفى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) ^{٢٦} وفى قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعدوا عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) ^{٢٧} .
ولا يخفى عليكم ما كان من مواساة سادتنا الأنصار لسادتنا المهاجرين فقد آوهم وأنفقوا عليهم بل وآثروهم على أنفسهم وسجل الله لهم كل ذلك فى كتابه الكريم فقال تعالى واصفا المهاجرين بالصدق (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) ^{٢٨} ثم قال تعالى واصفا الأنصار بالفلاح بعد ذلك (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

^{٢٤} - الحشر ٩ .
^{٢٥} - الآيات ١٦ - ١٧ من سورة السجدة .
^{٢٦} - الآية ١ من سورة الذاريات .
^{٢٧} - الآية ٢٨ من سورة الكهف .
^{٢٨} - آيه ٥ من سورة الحشر .

خاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)^{٢٩} ثم أرشد الله أجيال المسلمين التي تلت المهاجرين والأنصار أن يذكروا لهم فضلهم وأن يدعوا لهم بالمغفرة فقال تعالى بعد ما تقدم (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)^{٣٠} . وكفى المهاجرين والأنصار شرفا أن يلقبهم الله تعالى بالسابقين الأولين فى قوله الكريم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)^{٣١} .

وما أعز ناديك الموقر بتسمية نادى الأنصار "فذلك مما تذكرون به فضلهم غفر الله لهم وللسادة المهاجرين ولمن والاهم بإحسان إلى يوم الدين .

إن كل ما تحلى به السادة الصحابة إنما كان بعد جهاد أنفسهم ، وكان جهادهم لأنفسهم متصلا لا ينقطع لأن النفوس بطبعها تؤثر العاجل على الآجل وتستحب الراحة على المشقات ولكنهم رضى الله عنهم لم يسايروا أنفسهم فى هواها لعلمهم أن مسايرتها فى هواها تضل عن سبيل الله ، فقد قال تعالى لسيدنا داود عليه السلام (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)^{٣٢} ولم يرغب عنهم أن من صبر على الأشق فى الدنيا - وهى قصيرة الأجل -

٢٩ - الحشر ٩ .
٣٠ - الحشر ١٠ .
٣١ - التوبة ١٠٠ .
٣٢ - ص ٢٦ .

استمتع بنعيم الآخرة وهو نعيم مقيم لا يفنى ولا يبديد ، ومن العقل والحكمة ألا يبيع المؤمن النعيم الباقي بالفانى إذ لا تستوى الدنيا بالآخرة خاصة بعد أن نصحنا الله تعالى فى قوله الكريم (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى)^{٣٣} ويبين لنا سبحانه الفارق بين المجاهدين أنفسهم والقاعدين فى قوله تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب * قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)^{٣٤} .

الصبر بأنواعه :

أيها الأخوة الكرام :

إن جهاد النفس يقتضى منا صبرا على الطاعات ، وصبرا على المعاصى ، وصبرا على البلاء ، وصبرا على العوافى . وكلنا يعلم أنواع الصبر الثلاثة الأولى ، أما الصبر على العوافى فقليل منا من يعرفه ، والمقصود بالعوافى صحة الأبدان ووفرة الأموال وعظم الجاه ، فأكثر الأصحاء والأقوياء من الشباب يظلم نفسه بالمعاصى والانغماس فى الشهوات ولا يجاهد نفسه فى شبابه ، وفتنة الأموال معروفة ، وبذل الأموال فى الشهوات إنما هو من حظ الشيطان ، وهو كذلك كفر بالنعمة ، وكذلك الشأن فى أصحاب الجاه الذين يجعلونه فى ظلم الضعيف ونصر القوى ، ناسين العدل الذى أمر به الله ويقول الحكماء :

^{٣٣} - الأعلى ١٦ .

^{٣٤} - الزمر ٩ و ١٠ .

إن شكر النعمة هو استعمالها فيما خلقه الله ، فشكر الصحة بذلها فى الطاعة ، وشكر المال والجاه يكون باستعمالهما فى مرضاته سبحانه وتعالى ، وقد قال جل شأنه (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)^{٣٥} .

وقد قال صلوات الله وسلامه عليه لأهل قباء : " أتصبرون على البلاء ؟ قالوا بلى ، قال : أترضون بالقضاء ؟ قالوا بلى ، قال أتشكرون فى الرخاء ؟ قالوا بلى ، قال : مؤمنون أنتم ورب الكعبة " وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً : والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلكهم كما أهلكتهم ، ويقول صلوات الله وسلانه عليه : نعم المال الصالح للمرء الصالح . وفى الحديث القدسى عن رب العزة : " أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد ، أحب التقى وحبى للشباب التقى أشد ، وأحب المتواضع وحبى للغنى المتواضع أشد وأحب المتصدق وحبى للفقير المتصدق أشد ، وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد أبغض العاصى وبغضى للشيخ العاصى أشد ، وأبغض المتكبر وبغضى للفقير المتكبر أشد وأبغض البخيل وبغضى للغنى البخيل أشد " .

أيها المستمعون الكرام : إن نفس المؤمن رجاعة إلى الحق من قريب ، فلنحاسب أنفسنا بالليل على ما وقع منا بالنهار ، ولنحاسبها بالنهار على ما وقع منا بالليل ، ولنعود

أنفسنا التوبة الصادقة والعاجلة فإننا لا ندري متى يفاجئنا الأجل ، والله تعالى يقول (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)^{٣٦} .
وحدة الأمة الإسلامية :

ونحن بحمد الله أمة واحدة لا تفصلنا حدود جغرافية ولا أجناس قومية ، ويقول تعالى فى وحدة صفوفنا (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)^{٣٧} فنتماسك فى وجه أعدائنا ، ولنتواصى بالحق وليذكر كل منا أخاه بحق الله ، وليقبل المسلم نصيحة أخيه المسلم فقد سئل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خير الأصحاب ؟ قال " صاحب إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك " .

الأخلاق النبوية :

ولنتسلح فى مواجه أعدائنا وفى معاملة بعضنا بالخلق الإسلامى الكريم الذى كان يتحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثبتته الله له فى قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)^{٣٨} فقد أرضى صلوات الله وسلامه عليه ربه فى سره وجهره فلم ينصرف عنه فى البلاء ولم ينحرف فى الرخاء ، بل التزم الصراط المستقيم ودعا أمته إلى التزامه فأفلح من أطاع الله وعمل بعمله صلى الله عليه وسلم وتخلق بخلقه (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى)^{٣٩} .

^{٣٦} - النساء ١٧ و ١٨ .

^{٣٧} - الأنبياء .

^{٣٨} - القلم ٤ .

^{٣٩} - يوسف ١٨ .

ورحم الله أمير الشعراء شوقي ، إذ يقول مخاطباً له صلى الله عليه وسلم :
يا من له الأخلاق ما تهوى العلى منها وما يتعشق الكبراء

لو لم تقم ديننا لقامت وحدها ديننا يضى بنوره الآناء

وقد كان صلى الله عليه وسلم يملك نفسه فلا يخرج فى الغضب أو الرضا عن الحق ، وكان
يسخو بماله ، ويعفو عن قدرة ، ويحفظ عهده ودمته ، ويرحم الضعفاء ، وفى ذلك يقول
شوقي رحمه الله :

فإذا غضبت فإنما هى غضبة فى الحق لا ضغن ولا بغضاء

وإذا رضيت فذاك فى مرضاته ورضا الكثير تحلم ورياء

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لا تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً لا يستخف بحلمك الجهلاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهده ذمة ووفاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

وكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه شاعرنا العبقري السيد عزيز أباطة مد الله فى عمره :

داعياً للكمال والخلق السمح وصون الحق والحرمان

وبشيراً بالعرف والعدل والعف وودء الحدود بالشبهات

ومهيّباً بالنفس أن نتفياً الـ خير قبل الصيام قبل الصلاة

شارعاً حرمة المساواة لا فاضلاً إلا بالفضل والمكرمان

آخذاً للفقير من سعة المو
سر غير غلظة وافتئات
هو الدين ومضة من جمال الله
تسنى فتغمر الكائنات

تغير أحوالنا :

إن من الشجاعة الأدبية أن نعترف أننا فى زماننا هذا تغيرنا فى كثير من أحوالنا عما كان عليه أسلافنا الصالحين الذين عضوا بالنواجذ على آداب الدين وحدوده ، فقد جرفتنا بعيدا عن مسلكهم زخارف الدنيا وملاهيها ، ولا يعيبنا أن نعترف بقصورنا وتقصيرنا لأن شعورنا بعيوبنا هو بداية سعينا لعلاج أنفسنا من أمراضها ، وجلاء قلوبنا من غفلتنا ، فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، والرجوع للحق خير من التمدادى فى الباطل .

وقد نصحنا فى هذا الشأن بعض عباقرتنا من الشعراء الأفاضل ، فها هو ذا المرحوم محمد أقبال شاعر الباكستان ، بل شاعر المسلمين الكبير ، يقول مخاطبا الشباب ، فيما ترجمه عنه صدبقى فضيلة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره :

لأى مآثر القوم انتسبتم	لتكتسبوا فخر المسلمين
وأين مقام ذى النورين منكم	ودولة عزه دنيا ودين
وفقر على الأواب هلا	ربحتم فيه كنز الفاتحينا
أقمتم فى الدنيا وفى الخطايا	وتغتابون حتى الصالحينا

وهم ستروا عيوب الخلق طرا
وبأس شبابكم أدمى خطاهم
هى المدينة الحمقاء ألفت
لقد صنعت لهم صنم الملاهى
وإن كانوا أبر المتقيننا
فظنوا فيه بالدين الظنوننا
بهم حول المذاهب حائرنا
لتحجب عنهم الحرم الأميننا
وما أروع طيب الله ثراه ، إذ يقول فى وحدة المسلمين وفى همة أسلافنا الصالحين
وتضحياتهم :

الصين لنا والهند لنا
أضحى الإسلام لنا ديننا
توحيد الله لنا نور
بنيت فى الأرض معابدها
هو أول بيت نحفظه
يا أرض النور من الحرمين
روض الإسلام ودوحته
وأذان المسلم كان له
إن اسم محمد الهادى
والعرب لنا والكل لنا
وجميع الكون لنا وطننا
أعدنا الروح له سكننا
والبيت الأول كعبتنا
بجياة الروح ويحفظنا
ويا ميلاد شريعتنا
فى أرضك نماها ديننا
فى الأرض صدى من همتنا
روح الآمال لنهضتنا

التزام الشرع ومحبة الله :

أيها الأعداء :

أخشى أن أكون قد أطلت ، وقد حلا لى الحديث إليكم فى أرض النور ، ولكنى لا أود أن أختتم
الحديث دون أن أسمعكم قطرات من

بحر غزير مما شدا به شيخى العالم الربانى المغفور له سيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه ، فقد قال فى مجاهدة نفسه والتزام شرع الله تعالى من إلهامه الفورى الذى آتاه الله سبحانه ونقلناه عنه :

قتلت هوى نفسى فعثت بلا نفس
وجافيت أنسى فانتهيت إلى الأنىس
ولم أبدأ أمرى للعباد فطالما
كتمت الذى ألقى عن الجن والأنىس
وأدركت بالوجدان سر أحببى
وعاينت آيات اليقين بلا لبس
وعثت زمانى لست أحفل بالورى
وكيف وقلبى هام فى مشهد القدسى
وعلمت غيرى ما أفدت من الهدى
فلم يبقى ذو فهم لى على طمس
وما اتخذت روحى سوى الله غاية
فتم الهدى للروح والقلب والحس
وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة
أصون به نفسى عن الزيغ والدىس
وإن شرب الناس الطلاء^{٤٠} وتصببوا
فسنة خير الخلق فى شربها كأسى

^{٤٠} - الطلاء : أى الخمر .

ولم أعشق الدنيا فتلك متابة

تهيي للأخرى وفي فوتها عرسى

ويقول رضى الله عنه فى محبة الله تعالى والتعلق به والتمسك بشرعه تعالى :

إنا محبوبه آثرنا الحياة له

فلا نلام على أحياء تقواه

إن كان حبى جنونا بئسما زعموا

يارب زدنى جنونا أنت منحاه

قالوا صف الحب لا تخطئه فى صفة

إن كان وصفك بالحق اتبعناه

فقلت صدق وإخلاص ومعرفة

وأن تموت وأن المقصد الله

وأن تكون مع الرحمن منكسرا

وأن يكون لك البارى هو الجاه

وأن تسير على الشرع الشريف

ولا تخل بالحكم أو تلعب بمعناه

فإن تكن هكذا كنت المحب فإن

قالوا ابتدعتم أجبنا قد رضينا

ومن سوى الله نرضاه ونقصده

منذا يشابه رب العرش نهواه

وفى النهاية أشكر لكم حسن استماعكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركانه .